

التوعية بأخطار الأزمات والكوارث "الوقاية والحماية منها"

مؤتمر التدايعات النفسية والاجتماعية للأزمات والكوارث
وتأثيرها على المجتمعات العربية. بالقاهرة. بمصر

الباحث / أبو بكر عبد السلام السنوسي

مدخل للتعرف على الأزمات والكوارث:

إن الأزمات والكوارث بمختلف أنواعها الطبيعية أو التي من صنع الإنسان، أصبحت اليوم واقعا ملموسا في حياتنا، وأصبح علم إدارة الأزمات والكوارث علما ضروريا وأساسيا في كل كيان "بيت، هيئة، منظمة، مؤسسة، منشأة، شركة"، ويعمل على وضع الأسس العلمية الصحيحة للتغلب على الأزمات والكوارث، وتجنب سلبياتها.

إن الأزمات والكوارث هي عبارة عن مصائب ومحن تحمل تهديدا مدمرا لأهداف أو قيم أو معتقدات أو ممتلكات للأفراد والجماعات أو الشركات أو الهيئات والمؤسسات والجهات الحكومية بالدولة والنظام الاجتماعي بالمجتمع، وقد تكون متوقعة الحدوث أو غير متوقعة الحدوث، وتكون أوضاع غير مستقرة بالمجتمع، ومنها الطبيعة التي لا دخل للإنسان بها مثل الزلازل والفيضانات والأعاصير، ومنها ما هو من صنع الإنسان كالأخطاء البشرية.

إن أغلب الأزمات والكوارث تحدث بشكل مفاجئ، وتشكل خطرا فعليا وجسيما للمجتمع، وتخلق فوضى وأرباك تؤثر سلبا في حياة المواطنين بالمجتمع، وتتصف بضيق الوقت المتاح لمواجهتها، ونقص شديد للمعلومات الخاصة بها، وتسبب أضرارا مادية وبشرية وتخلف أضرار نفسية على المواطنين بالمجتمع، الأمر الذي يتطلب معه إيجاد طرق ناجعة للتصدي لها ومعالجتها والتقليل من الخسائر، والعمل على إيجاد برامج للتوعية والتنقيف لأفراد المجتمع، وصقل المهارات الفنية وخلق روح التعاون فيما بينهم، ومع الجهات المختصة بالمجتمع لمواجهة الأزمات والكوارث والتقليل من أثارها السيئة.

يعتبر علم إدارة الأزمات من العلوم ذات الأهمية الكبرى في حياتنا، ويقوم بمواجهة وإدارة الأزمات والكوارث الناشئة، والعمل على وضع الأسس العلمية والخطط والأساليب والاستراتيجيات المناسبة للتعامل مع الأزمات والكوارث بغرض السيطرة عليها واحتوائها وتجنب مخاطرها، ويحتاج علم إدارة الأزمات والكوارث إلى المعلومات الموثوقة بصورة دائمة، والمشاركة البناءة من الأفراد في اتخاذ القرارات السليمة مع الجهات الإدارية الحكومية في التصدي للأزمات والكوارث وتجنب أثارها السيئة على القطاعات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والصحية والخدمية والأخلاقية بالمجتمع.

الوقاية والحماية من الأزمات والكوارث:

إن نجاح أي إدارة للأزمات والكوارث يحتاج إلى أتباع نهج علمي صحيح، وإلى تعاون وتكاتف الجميع داخل المجتمع، والمشاركة في اتخاذ القرار المناسب للتصدي ومعالجة الإشكاليات التي تحدثها الأزمات والكوارث.

إن الاستعداد الدائم والجاهزية المستمرة، ودراسة وتحليل الإنذارات المبكرة عن احتمالية حدوث الأزمات والكوارث يساعد الحكومات والإدارات المسؤولة على اتخاذ كافة الإجراءات الصحيحة والمناسبة، وفي الوقت والمكان المناسبين للتصدي لهذه الأزمات والكوارث، وحماية الممتلكات والأرواح بالمجتمع، والتقليل من الخسائر.

إن أنظمة الإنذار المبكر عن الأزمات والكوارث هي أحد المتطلبات الأساسية لغرض الكشف عن بوادر حدوث الأزمات والكوارث؛ فهي عبارة عن مجموعة من الإجراءات المستخدمة للكشف والتحذير عن اشارات تنبئ

بحدوث أزمة أو كارثة في بيئة معينة، وتجميع تلك الاشارات وتحليلها وتقديمها إلى الجهات المسؤولة بالمجتمع لأخذ القرارات السليمة والسريعة لمواجهتها ومنع حدوثها أو التقليل من أضرارها إلى أقل حد ممكن، ويجب تعزيزها وتوفير كل الوسائل الممكنة والأدوات التي يمكن من خلالها التنبؤ بها، و يجب الأخذ بمبدأ التنبؤ الوقائي في إدارة الأزمات والكوارث، لغرض حماية الأرواح والممتلكات والتأهب لها وتخفيف حدتها، "إن توفير وسائل الإنذار المبكر، وتوفير ونشر المعلومات المهمة هو عامل أساسي في الوقاية والحماية من الأزمات والكوارث"، وإن الإجراءات والتدابير التي يتم اتخاذها لمواجهة الأزمات والكوارث تكون فعالة وأكثر فائدة عندما يتشارك الجميع من أفراد وجماعات وهيئات ومؤسسات حكومية داخل الدولة وخارجها.

إن نشر ثقافة الوقاية والحماية من الأزمات والكوارث بين أفراد المجتمع يساعد في تنفيذ استراتيجيات مواجهة الأزمات والكوارث والتقليل من الخسائر إلى أقل حد ممكن، فالكوارث تحدث بصورة مفاجئة، ولا يمكن تجنبها بالكامل؛ ولكن يمكن التقليل من أثارها السيئة.

أهمية توافر المعلومات:

إن عصرنا الحالي هو عصر المعلومات بكل جدارة، فالمعلومات هي من أهم مقومات الحياة، ويعتمد عليها الإنسان في كل نواحي حياته الخاصة والعامة، حيث تساهم في تطوير أسلوب حياته ومجتمعه، والحماية من الأخطار المحيطة وتحقيق التنمية المستدامة المنشودة بالمجتمع؛ فالمعلومات يحتاج إليها الباحث والطالب والأستاذ والمهندس والطبيب والفلاح والصحفي والسياسي والمحامي، وكل منهم يستخدمها في مجاله الخاص وفي مجال عمله، فهي من الحاجات الأساسية الضرورية لهم ولا يمكن الاستغناء عنها.

إن حق حرية الحصول على المعلومات وتداولها من الحقوق الأساسية والمهمة التي تكفل للمواطن الحصول على المعلومات التي يريدها، وعلى الجهات المختصة بالحكومة توفيرها وإتاحة السبل للوصول إليها لجميع المواطنين، وذلك لما لها من أهمية كبيرة في تعزيز المشاركة البناءة في اتخاذ القرار السليم وتحقيق الشفافية وتحقيق الحماية.

إن تطبيق مبدأ حرية تداول المعلومات يساهم في بناء مجتمع يسوده ثقافة الوعي والمعرفة والمشاركة الفاعلة من المواطنين في وضع السياسات والقرارات الصحيحة لحل كل المشاكل والأزمات داخل المجتمع، وخلق الثقة ما بين المواطنين والحكومة، وهو أداة رئيسية في مكافحة الفساد وتحقيق الشفافية.

إن توفير المعلومات الأساسية عن طبيعة وخصائص الأزمات والكوارث وكيفية حدوثها، وإيصال هذه المعلومات وإتاحة الاطلاع عليها لجميع المواطنين بكل سهولة ويسر، وفي أي وقت بصورة مجانية أو بتكلفة بسيطة يساعد في الوقاية والحماية من مخاطر ومساوئ الأزمات والكوارث، ويساعد في التقليل من الخسائر؛ حيث تعتبر المعلومات الركيزة الأساسية في نجاح أعمال إدارة الأزمات والكوارث؛ فالمحافظة على تدفق المعلومات في كل مراحل الأزمة أو الكارثة هو أساسي وجوهري في التنبؤ والتخطيط والاستعداد واختيار أفضل الاستراتيجيات للتعامل مع الأزمة أو الكارثة. والعكس من ذلك حجب المعلومات أو نشر معلومات غير موثوقة وكاذبة يؤدي إلى اتخاذ قرارات غير مناسبة، ويؤدي ذلك إلى تفاقم الأوضاع وازدياد حدتها.

يعمل نظام معلومات الأزمات والكوارث والذي هو (عبارة عن قواعد بيانات عن كيفية التعرف على المخاطر والأزمات والكوارث والإمكانيات المتاحة من بنى تحتية وموارد مادية وبشرية، وعلى توفير المعلومات الخاصة بالأزمات والكوارث المحتمل حدوثها، وتأمين تدفق المعلومات بصورة دائمة، والعمل على تحليلها واستنتاج المفيد منها وتقديمه إلى متخذي القرار.

جاء في مؤتمر اليونسكو الحكومي حول أسس التخطيط القومي للتوثيق والمكتبات والوثائق في أبريل لسنة 1993م المنعقد بباريس لغرض تعزيز التعاون الدولي وتحديد الأسس اللازمة لتطوير الخطط القومية في مجال التوثيق والمكتبات والوثائق بالدول الأعضاء، وقد تم توضيح " أن النظام الإعلامي الخاص بكل دولة هو مجموعة عناصر ذات مخرجات تصب في هدف واحد وهو ضمان وصول المعلومات اللازمة لجميع شرائح المجتمع للمساعدة في حل الإشكاليات ومواجهة الاخطار وتجنب مساوئها.

وقد قامت أغلب الدول بإنشاء شبكة للمعلومات تحتوي على مراكز وبنوك للمعلومات تقوم بتقديم المعلومات في مختلف المجالات منها ما يختص بالأزمات والكوارث، وتعمل على نشرها عبر الوسائل المختلفة المتاحة، وأنشئت أيضاً الشبكة الدولية لمعلومات الكوارث بالولايات المتحدة الأمريكية وتهدف إلى تعزيز الشراكة وتبادل المعلومات ما بين حكومات الدول والمنظمات غير الحكومية بغية دعم كل الجهود الخاصة بالإغاثة والحماية.

أثر التكنولوجيا في نشر المعلومات:

ساعد التطور التكنولوجي الهائل اليوم والانتشار الواسع في استخدام أجهزة الحاسوب والهواتف الذكية؛ ساعد في إيصال المعلومات المفيدة للمواطنين في شتى المجالات، وإتاحة الوصول إليها والحصول عليها بكل سهولة ويسر وفي أي وقت، وخصوصاً التي تخص الأزمات والكوارث.

والتكنولوجيا تعمل من خلال أدواتها ونظمها (كالحواسيب والأنترنيت) على جمع المعلومات وتخزينها وتبويبها وإمكانية استرجاعها لمن يريدونها في أي وقت، والمحافظة على تدفقها المستمر، وهي مصدر من مصادر توفير العلوم المعرفية للمساعدة في تحقيق التنمية بالمجتمع وحل المشاكل.

عملت التكنولوجيا من خلال أدواتها الكبرى (شبكة الأنترنت)، وهي عبارة عن مجموعة من الشبكات الكبيرة المترابطة والمواقع الإلكترونية التي تقوم بتوفير المعلومات الصحيحة للمساعدة في اتخاذ القرارات المناسبة للتغلب على الأزمات والكوارث وتجنبها، ومنها مواقع التواصل الاجتماعي والمنصات العلمية، على تقديم التوعية الشاملة وإتاحة كل المعلومات الممكنة؛ مثل ما قامت به مواقع التواصل الاجتماعي خلال الأزمات السابقة مثل أزمة كورونا (كوفيد 19)؛ حيث قدمت معلومات عن طبيعة الوباء وكيفية الوقاية منه، وكيفية استخدام الإرشادات المناسبة للوقاية منه والعمل على تصحيح كل الأخطاء وتوجيه وإرشاد المواطنين باستخدام احتياطات السلامة والأمان.

وتعمل الهواتف الذكية على تحقيق الوصول السريع إلى المواطنين داخل المجتمع؛ فيمكن الاستفادة من هذه الميزة في إيصال التنبيهات والنصائح عن المشاكل القائمة كالأزمات والكوارث، وتوجيههم وإرشادهم بالأساليب الفاعلة لحمايتهم من الأضرار والابتعاد عنها (فاليوم أجهزة الهواتف الذكية في يد كل المواطنين كبيراً أو صغيراً رجلاً أو أمراًه).

الإسهامات الدولية في التوعية والحماية:

يدعو المجتمع الدولي حكومات الدول إلى تكوين أنظمة للإنذار المبكر عن احتمالية حدوث أزمات أو كوارث، لما لها من أهمية كبرى في تعزيز الوقاية والحماية منها. ووضعت بعض المنظمات الدولية غير الحكومية مثل الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر، استراتيجية عمل للتوعية وتنقيف المجتمعات من أجل مواجهة أخطار الأزمات والكوارث والحد من مخاطرها.

وتؤكد الأمم المتحدة في تقاريرها، "أنه بدلاً من الانتظار حتى تحدث الأزمة أو الكارثة وتقديم الاحتياجات الإنسانية للحماية منها، أنه يمكن التنبؤ بدقة بحدوث أزمة أو كارثة ما، ويمكن من خلال ذلك اتخاذ كافة الإجراءات الاستباقية اللازمة لتجنب وقوعها وحماية الممتلكات وإنقاذ الأرواح؛ وفي أحد تقاريرها شددت وحثت الأمم المتحدة الدول على ضرورة التحول إلى التنبؤ القائم على الآثار - مثلاً (أي التحول من "ما سيؤول إليه الطقس" إلى "ما سيفعله الطقس"، بحيث يتمكن الجميع من اتخاذ إجراءات مبكرة بناءً على الإنذارات).

ودعت المفوضية السامية لحقوق الإنسان وحماية حقوق الإنسان خلال الأزمات الإنسانية إلى تبني منهج يقوم على حقوق الإنسان في العمل الإنساني لضمان المشاركة الفاعلة للأشخاص المتضررين في برامج (الاستعداد - الاستجابة - التعافي).

قام الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر بوضع رسائل للتوعية العامة وتنقيف المجتمع، وذلك لغرض تقديم المساعدة للأفراد والجماعات في التعرف على مخاطر الكوارث ووضع التدابير المناسبة

للحماية؛ وقد بين الاتحاد أن المعلومات الصحيحة والمبسطة التي يتم مشاركتها ويتم تقديمها في الوقت المناسب، تساعد الأفراد في المحافظة على سلامتهم وإنقاذ أرواحهم. وهذه الرسائل عبارة عن نصائح وارشادات عملية خاصة بتعزيز السلامة الدائمة والمستدامة عن الحماية من مخاطر الكوارث، وهي معلومات قابلة للتطبيق بكل المجتمعات.

ثقافة التوعية والإرشاد:

يتبادر إلى ذهن كل مواطن عند حدوث أي أزمة أو كارثة، ما الذي حدث؟ ماذا أفعل؟ أنا لا أعرف شيء.

نحن نحتاج إلى معرفة الإجراءات والارشادات والتعليمات الواجب أتباعها عند حدوث أزمة أو كارثة، وإلى نصح وتوعية وإرشاد ذلك المواطن (الحرفي في ورشته، والفلاح في مزرعته، والطبيب في عيادته، والمهندس في مشروعه، والموظف في إدارته، والطالب في مدرسته، وربة البيت في بيتها)، بالطرق والخطوات الناجعة للوقاية من الأزمات والكوارث، والحماية من أثارها النفسية والاجتماعية السيئة. ويجب علينا إيصال هذه النصائح والإرشادات لهم بصورة مباشرة، وتوزيع كتيبات وملصقات تبين النقاط المهمة للإرشادات التي يجب أتباعها عند حدوث الأزمات والكوارث.

إن حجب المعلومات لا يساعد في نشر ثقافة الوعي وفهم طبيعة وخصائص الأزمات والكوارث، ومعرفة النصائح والإرشادات والإجراءات المتبعة للوقاية منها وتجنب أضرارها؛ فللمواطن الحق في معرفة كل المعلومات عن الأزمات والكوارث "طبيعتها ونوعها وأهدافها وخصائصها".

ولأجل نشر ثقافة الوعي بالأزمات والكوارث وكيفية الوقاية منها ومعرفة الإجراءات والطرق الصحيحة الفاعلة في مواجهتها، وطرق الإغاثة والإنقاذ وتحوطات السلامة، وكيفية تطبيق اللوائح والارشادات التي تضعها الدولة لعمليات الإغاثة والإنقاذ والمساعدة؛ يجب عمل محاضرات توعية نظرياً وعملياً لطلبة المدارس حول إرشادات الوقاية والحماية من أضرار الأزمات والكوارث، وكذلك عمل برامج محاكاة في كيفية تنفيذ أعمال الإغاثة والطرق السليمة والفاعلة في مساعدة المتضررين ودفع الأذى عنهم، وعمل محاكاة لعمليات الأخلاء الوهمي التي تقوم بها إدارة الدفاع المدني بالمجتمع، وتوفير كل المعلومات في أطار من الشفافية ووضعها في كتيبات وملصقات، وهي الخاصة بلوائح وعمليات السلامة التي تحددها إدارة الدفاع والحماية المدني.

ويجب وضع إرشادات وتعليمات ونصائح عن الوقاية والحماية من الأزمات والكوارث في قوالب معلومات يمكن مشاركتها وإيصالها إلى جميع المواطنين بالمجتمع من خلال الوسائل الناجعة المتاحة، وتكون برامج التوعية داخل المجمع بواسطة الأدوات التكنولوجية مثل الهواتف الذكية وشبكة الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك عن طريق وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

المطالب والتوصيات:

- 1- ندعو كافة الجهات الفاعلة مثل المؤسسات الحكومية والأهلية ومنظمات المجتمع المدني إلى اتخاذ كافة التدابير الممكنة لدراسة أساليب مواجهة الأزمات والكوارث وكيفية إدارتها بأسس علمية ومهنية، وإلى تكوين برامج لتوعية المواطنين داخل المجتمع بالأخطار المحيطة بهم كالأزمات والكوارث، والإلمام بالاستراتيجيات التقليدية والحديثة الخاصة بالتعامل مع الأزمات والكوارث عند حدوثها.
- 2- ندعو أيضاً إلى أعداد دراسات وأبحاث علمية عن الأزمات والكوارث ونشرها، واستخلاص النتائج والتجارب الناجحة والدروس المستفادة من الأزمات والكوارث السابقة والتعلم منها.
- 3- يجب علينا جميعاً الاستعداد الدائم لمواجهة الأزمات والكوارث من خلال التدريب، وتطوير المهارات الفنية للإغاثة والحماية، والاطلاع على الإرشادات والتوجيهات الصادرة من الجهات المسؤولة داخل المجتمع الخاصة بالوقاية والحماية.
- 4- تشجيع المواطنين على المشاركة والمتابعة والملاحظة بفاعلية كبيرة في الوقاية والحماية من الأزمات والكوارث، وطرح الأفكار والآراء السديدة للمساعدة في اتخاذ القرار السليم والصحيح لمواجهة الأزمات

والكوارث وتجنبها.

- 5- حث الدولة على الاهتمام بتكنولوجيا المعلومات ودعمها، ودعم البنى التحتية، وأصدار لوائح وقوانين تنظم عملية نشر المعلومات عبر الأنترنت وتسهيل الوصول إليها لجميع المواطنين داخل المجتمع.
- 6- حث الدولة أيضا على وضع لوائح وقوانين تنظم عمليات تبادل المعلومات ما بين مراكز المعلومات وكل الإدارات والهيئات والمؤسسات داخل وخارج الدولة.

المصادر:

- 1- ا.د مفتاح محمد دياب، المعلومات ودورها في إدارة الأزمات والكوارث "أزمة فيروس كورونا نموذجا"، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة زيان عاشور- الجزائر، المجلد (1) العدد (1) - تاريخ النشر - يوليو، ديسمبر 2021م.
- 2- د. عائشة زبيدي، ثقافة الأزمات والكوارث الوقاية والعلاج، مجلة دفاتر علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الجزائر2، العدد (9) - تاريخ النشر - 2013/7/1م.
- 3- د. عبدالنواب شرف الدين، دراسات في المعلومات، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، مصر، ط1 - 2000م.
- 4- د. ماجد عبدالمهدي المساعدة، إدارة الأزمات "المدخل-المفاهيم-العمليات"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1 - 2012م.
- 5- سامي حريز وزيد سلمان، إدارة الكوارث والمخاطر بين النظرية والتطبيق، دار الراجحة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1 - 2011م.
- 6- الإصدار الثاني-التوعية العامة وتنقيف المُجتمَع للحد من مخاطر الكوارث: الرسائل العملية الرئيسية، الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر، نشر بالموقع الإلكتروني في 2020/03/11م
<https://www.ifrc.org/document/public-awareness-and-public-education-disaster-risk-reduction-key-messages-2nd-edition>
- 7- الموقع الإلكتروني للمفوضية السامية لحقوق الإنسان. <https://www.ohchr.org/ar>